كلية الآداب
قسم اللغة العبرية وآدابها

المقال العبري المعاصر في أدب "شولاميت هَرإيفين"
دراسة في المضمون الفكري والسمات الفنية

بحث لنيل درجة الماجستير
في الأدب العبري الحديث والمعاصر

مقدم من الطالب
محمد عبود حسين
المعيد بالقسم

تحت إشراف

أ.د أحمد عبد اللطيف حماد
أستاذ الأدب العبري الحديث والمعاصر
بكلية الآداب- جامعة عين شمس

٢٠٠٧م

إهــداء

إلى معلمي الذي أحببته حد التطرف، وظل بجانبي رغم "غيابه" حد الحضور..

أستاذي الدكتور

رشاد عبد الله

الشامي

إلى معلمي الذي أحببته حد التطرف، وظل بجانبي رغم "غيابه" حد الحضور..

أستاذي الدكتور

رشاد عبد الله الشامي

شكر وتقدير

الشكر دَيْنٌ، ودِيني لتلك النفوس الحبيبة والحميمة التي غمرتني أنا وعملي بالرعاية والاهتمام أكبر وأعمق مما تفي به هذه الصفحة، فلهم جميعا حبي وشكري وعرفاني:

المرحوم الأستاذ الدكتور: رشاد عبد الله الشامي الذي أشرف على هذه الرسالة حتى قاربت على الانتهاء، وغمرني بفضائله من علم وحلم وصبر، وأكسبني نسقا معرفيا وبحثيا سيجعلني مدينا له إلى يوم يبعثون. وكان تسامحه الكريم مع أفكاري واختياراتي دافعا لي على الالتزام والاجتهاد قدر ما استطعت.

الأستاذ الدكتور أحمد عبد اللطيف حماد الذي أكمل معي مشوار الإشراف العلمي، وذلل أمام هذا البحث عثرات ثقال حتى انتهى على هذه الصورة، وكان خير معلم وموجه، أفدت من مدرسته العلمية، وانتفعت بتوجيهاته، وملاحظاته الثاقبة، وعلمه الغزير الذي جعلني أسير الامتنان والعرفان له ما حييت.

الأستاذ الدكتور سعيد عبد السلام الذي نهلت من علمه الغزير منذ بدأت خطواتي الأولى طالبا في القسم، وأشرف بأن يكون مناقشا لهذا البحث كي أستفيد من نصائحه وملاحظاته العلمية الثاقبة دوما.

الأستاذ الدكتور محمد فوزي ضيف الذي أشرف بقبوله مهمة مناقشة هذا البحث، لأستفيد بملاحظاته العلمية القيمة في سائر عملي.

الدكتور سيد سليمان عليان الذي كان حرصه الأخوي خير معين لهذا البحث، وكانت مكتبته العامرة خير زاد لإتمام هذا البحث، واستحالته حقيقة ملموسة، جزاه الله تعالى عني كل الخير.

و**الصديقين الحميمين عصام عيد، ومحمد حامد** صدقاني المحبة والتشجيع، وأفاداني بآرائهما المعينة وعينهما الناقدة وعونهما الصادق.

ولا أنسى في النهاية فضل من شاركونني صعاب هذه الرحلة، والدي الحبيب، والدتي الحبيبة، وصالح وفاطمة، فقد كنت استمد من تشجيعهم ودعمهم المتفاني الصبر والقوة.

مقدمة

عندما بدأت التفكير في موضوع أتقدم به لنيل درجة الماجستير من قسم اللغة العبرية وآدابها، كان يسيطر علي تفكيري عالم الكتابة الصحفية العبرية، بكل ما يقدم فيه من فنون نثرية رسخت أقدامها، بعد أن مر علي ظهورها عشرات السنين، ومنها المقال، بقوالبه الفنية الكثيرة التي اكتسبت أشكالاً وخصائص جعلت من المنطقي أن تعني به الدراسات الأكاديمية، كما عنيت بالشعر قديمه وحديثه، والنثر قديمه وحديثه، دون الالتفات لهذا الفن الحيوي في الحياة الثقافية الإسرائيلية المعاصرة.

علاوة علي ما يحمله المقال، في مضمونه، من ثقافة وعلم وأدب وفكر يقدمه للقراء من كافة المستويات، مستهدفا التأثير فيهم، ودفعهم لتبني آراء محددة إزاء قضايا معينة.

واستطعت بتوجيه وإشراف أستاذي، الراحل، الأستاذ الدكتور: رشاد عبد الله الشامي أن أضع يدي علي المقال السياسي والاجتماعي عند الكاتبة والأديبة الإسرائيلية المنتمية لحركة السلام الآن، "شولاميت هرإيفين". وهي واحدة من أعلام المقال المرموقين في حقل الأدب العبري، وما أكثرهم، ومع ذلك تهملهم الدراسات الأكاديمية. ذلك بالرغم ما للمقال من أهمية في صياغة الوعي الجمعي لجماهير القراء. فيكفي أن يقول الكاتب كلمته حتى يكون لها من الفعل بالنفوس، ومن تحريك العقول ما يفوق أثره كل قوة. ناهيك عن أن فعلها لا يقتصر علي جماعة معينة في وقت من الأوقات، بل أن تأثيره يتجاوز، أحيانا، حدود الزمان والمكان.

والمقال، كذلك، هو ثمرة من ثمار التقدم الحضاري، فهو لا يزدهر، بطبيعته، إلا في بيئة تعلو فيها قيمة الرأي العام، ويتقدم فيها العمل السياسي، وتتصارع فيها التيارات، والاتجاهات، وينتشر فيها التعليم، وتصبح الديمقراطية اتجاها مقبولا لدي الجميع.

وقد تم اختيار "شولاميت هرإيفين" دون غيرها من كتاب المقال العبري لأنها أديبة شهد لها النقاد بالكفاءة، على تميزها في كتابة المقال بلغة عبرية نقية، وبأسلوب أدبي راق.

وبالطبع لا يمكن كتابة مقال سياسي اجتماعي ذي قيمة حقيقية، بلغة محرري القسم الاقتصادي بالصحيفة، فالتحليل المعقد والرؤية الثاقبة، يتطلبان لغة ثرية، وجملاً متناسقة، وأسلوبا محكما. فما بالنا إذا توفرت هذه السمات في كاتبة مقال، وكانت هي في الأصل أديبة مشهودا لها بالبراعة.

ويأتي اختيار "شولاميت هرإيفين" أيضا لأن لها مشروعا فكريا واضح المعالم، فهي واحدة من المؤسسين الأوائل لحركة "السلام الآن" في إسرائيل ذلك التيار الذي لم تحظ أفكاره حتى الآن بدراسة علمية منهجية علي الرغم من تقاطع أفكاره ومبادئه مع قضايا الصراع العربي الإسرائيلي.

وكانت مقالات "شولاميت هرإيفين" خير وسيط للوقوف علي أفكار معسكر السلام في إسرائيل، إذ أنها دأبت في مقالاتها السياسية الاجتماعية على التعبير عن هذا المشروع السياسي، وشرح مبادئه والدفاع عنه في وجه التيارات السياسية المناوئة في إسرائيل.

وجاء اختيار مقالات "شولاميت هرإيفين" لما تعكسه من بانوراما فكرية واسعة الأفق، فيما يتعلق بطبيعة الصراع العربي الإسرائيلي والقضايا الشائكة داخل المجتمع الإسرائيلي نفسه، مثل: الصراع العربي– الإسرائيلي، وأوضاع الفلسطينيين في المناطق المحتلة، وقضايا التطرف الديني اليهودي في إسرائيل، والصراع بين العلمانيين والدينيين والتجليات السياسية للصراع بين اليهود الغربيين واليهود الشرقيين في إطار الصراع السياسي الأشمل بين اليمين واليسار الإسرائيليين.

ومن هذا المنطلق فإن هذه الدراسة تهدف إلي إلقاء الضوء علي واحد من الأنواع الأدبية المهمة في حقل الأدب العبري، وهو المقال، عند كاتبة من أبرز الأدباء والمفكرين الإسرائيليين الذين كان لهم دور بارز في المجالين الثقافي والسياسي علي حد سواء.

ولم يكن طريق البحث ممهداً كي أسير فيه علي نحو مرض، ذلك أنني واجهت كثيراً من الصعوبات أولها، صعوبة الحصول علي المصادر. وهي أزمة جدية يعاني منها الباحثون في مجال الدراسات العبرية. لكن يجب أن أشير إلي أنني وفقت، بعد جهد في الحصول علي أربعة كتب، جمعت فيها "شولاميت هرإيفين" كل مقالاتها وكانت هذه الكتب – المصادر خير معين في إتمام البحث، واستكمال وجوهه.

وقد عانت الدراسة، بعد ذلك، من وفرة الإنتاج المقالي لدي "شولاميت هرإيفين"، فالكاتبة تميل إلي كتابة المقال الفكري وافر المساحة. علاوة علي أنها كاتبة مقال غزيرة الإنتاج، شاركت بكتاباتها في كثير من الصحف والمجلات العبرية مثل: **על המשמר**- عل همشمار ، **דבר**- دافار، **הארץ**- هآرتس، **ידיעות אחרונות**- يديعوت أحرونوت، **מעריב**- معاريف، **פוליטיקה**- بوليتيكا، **שדרות** سديروت.

وكان من الصعب التجاوز عن مقال من هذه المقالات التي تشكل منظومة فكرية متكاملة، ينبغي علي الباحث الإلمام بعناصرها، ودراستها، للوقوف على ملامح المشروع الفكري الذي تطرحه "شولاميت هرإيفين". وبالفعل عمد الباحث إلي قراءة معمقة وتفصيلية للكتب الأربعة، بما توفرت عليه من مقالات وصلت إلي مائة وسبعة وثلاثين مقالاً، تقع في تسعمائة وتسع وثمانين صفحة. وكانت هذه القراءة، هي المفتاح الرئيس لتصنيف مادة المقالات وفقاً لأفكارها وقضاياها الأساسية، التي يمكن من خلالها تحديد الجوانب التي سيجري على أساسها دراسة مضمون هذه المادة الغزيرة والمتنوعة. وهي كذلك المفتاح الرئيس لاستكشاف القوالب المقالية

التـي فضـلتها الكاتبـة لصـياغة أفكارهـا، والسـمات الفنيـة التـي ميـزت هـذه المقـالات عـن غيرهـا، وأكسبتها قيمة أدبية رفيعة.

وتجدر الإشارة إلي صعوبة أخري، لعلها تتحول إلي ميزة، تمثلت في تنوع وثراء وعمق الموضوعات التي تناولتها الكاتبة بثقافتها الموسوعية البادية، الأمر الذي دفع الباحث للقراءة في تاريخ بعض القضايا المطروحة علي طاولة النقاش العام في إسرائيل مثل الصراع بين الدينيين والعلمانيين، وقضايا الصراع السياسي في إسرائيل داخليا (اليمين واليسار، الشرقيون والغربيون)، وخارجيا (الصراع العربي الإسرائيلي). فضلا عن الاهتمام بدراسة أفكار، وتوجهات حركة السلام الآن التي انتمت الكاتبة لصفوفها، وكانت من أوائل مؤسسيها.

وأخيراً، نشير إلي ندرة الدراسات العبرية عن المقال في الأدب العبري، وعن الإنتاج المقالي لـ"شولاميت هرإيفين" بالتبعية. مما دفع الباحث لاستكمال أوجه القصور التي قد تعيب الدراسة، بالتأصيل لنشأة وظهور المقال في الأدب العبري، وإجراء دراسة تحليلية للقوالب الفنية للمقال مستعينا بنظرية تداخل الأنواع الأدبية، ثم الانتقال للدراسة الفنية لسمات المقال عند الكاتبة، والمضمون الفكري لهذه المقالات.

منهج البحث

يقوم منهج البحث في هذه الدراسة علي استخدام كلا من المنهج الوصفي التاريخي، وذلك في القسم الخاص بنشأة فن المقال في الأدب العبري، وقوالبه الفنية. وعلى المنهج التحليلي في القسم الخاص برصد السمات الفنية للمقال العبري عند الكاتبة، وكذلك القسم الخاص بدراسة المضمون الفكري لهذه المقالات مع الإحاطة بالظروف التاريخية والاجتماعية والسياسية التي ساهمت في بلورة الأفكار التي طرحتها الكاتبة.

خطة البحث

وفي ضوء ما تقدم، فقد قسمت البحث إلي ثلاثة أبواب، وذلك علي النحو التالي:

الباب الأول، ويحمل عنوان:

"المقال العبري في العصر الحديث: نشأته وتطوره في الدوريات والصحف العبرية". وينقسم إلى تمهيد، وفصلين:

التمهيد، ويحمل عنوان: "المقال العبري: التعريف اللغوي والتعريف الاصطلاحي"، ويتناول:

١- التعريف اللغوي لكلمتي **"מסה"- "מאמר".**

٢- الفارق الدلالي بين اللفظين **"מסה"- "מאמר".**

٣-ً التعريف الاصطلاحي للمقال.

الفصل الأول، ويحمل عنوان: "نشأة المقال العبري وتبلوره في الدوريات العبرية في العصر الحديث". وينقسم إلى مبحثين، المبحث الأول: "نشأة المقال العبري في العصر الحديث". ويناقش الأطاريح التي ترد البذور الأولى لنشأة المقال إلى أسفار العهد القديم. وينتقل لتحديد البدايات الأولى لفن المقال العبري من خلال رصد ارتباط نشأة المقال العبري بالدوريات العبرية في العصر الحديث، تلك الدوريات التي شرعت في الظهور خلال القرن الثامن عشر، متأثرة بالدوريات الأخلاقية في أوروبا. ويرصد المبحث الثاني: "المقال في الدوريات العبرية في فترة الهسكالاه" النشأة الأولى للمقال العبري في الدوريات التي ظهرت خلال هذه الفترة، وذلك عبر المحاور التالية:

١- المقال في دورية "قوهيليت موسار" (**קהלת מוסר**: 1750)
٢- المقال في دورية "هَميأسيف" (**המאסף**: 1784- 1797؛ 1809- 1811)
٣- المقال في دورية "بيكوري هاعتيم" (**ביכורי העתים**: 1820- 1831)
٤- المقال في دورية "هَتسفيرا" (**הצפירה**: 1823)
٥- المقال في دورية "تسيون" (**ציון**: 1841- 1842؛ 1845)

الفصل الثاني، ويحمل عنوان: " تطور المقال العبري في الصحف الأسبوعية في العصر الحديث". ويتناول: "المقال في الصحف الأسبوعية إبان فترة الهسكالاه"، والتطور الذي طرأ على المقال، وبروز ملامحه في الصحف الأسبوعية العبرية في هذه المرحلة، وذلك من خلال الصحف الأسبوعية الآتية:

1- المقال في أسبوعية "هَمَّاجيد" (**המגיד**: 1856- 1903)
2- المقال في أسبوعية "هَمْليتس" (**המליץ**: 1860- 1904)
3- المقال في أسبوعية "هكرميل" (**הכרמל**: 1860- 1870؛ 1871- 1880)
٤- المقال في أسبوعية "هتسفيرا" (**הצפירה**: 1862- 1931)

ويرصد هذا الفصل أيضا التطور الذي طرأ على "المقال العبري في فترة الإحياء القومي"، ويلقي الضوء على ظهور صحافة فترة الإحياء القومي، مع التركيز على الدور الرئيس الذي لعبته الدورية الشهرية "هشحر- الفجر" (**השחר**: 1868- 1884) في تطوير المقال العبري، خاصة وأن دورية "**השחר**" مثلت مرحلة مهمة في مسيرة تطور المقال العبري، والتحولات التي طرأت على مضامينه وموضوعاته.

الباب الثاني ويحمل عنوان: "القوالب والسمات الفنية للمقال العبري في أدب شولاميت هرإيفين". وينقسم إلى تمهيد، وفصلين، على النحو التالي:

التمهيد ويحمل عنوان: "شولاميت هرإيفين ومكانتها في الساحة الفكرية والأدبية الإسرائيلية".

الفصل الأول ويحمل عنوان: "القوالب الفنية للمقال العبري في أدب شولاميت هرإيفين". ويصنف المقال العبري وفقا لنظرية تداخل الأنواع الأدبية، مع توضيح السمات المميزة للمقال بوصفه نوعا أدبيا. وتعمد الدراسة بعد ذلك إلى تطبيق نظرية تداخل الأنواع الأدبية على الإنتاج المقالي الذي خلفته شولاميت هرإيفين، وذلك من خلال المبحثين التاليين:

المبحث الأول

المقال في ضوء نظرية تداخل الأنواع الأدبية

أولا: إشكالية تصنيف أنواع المقال

ثانيا: السمات المميزة لقالب المقال العبري

المبحث الثاني

الأنواع البينية للمقال في الأدب العبري وإنتاج شولاميت هرإيفين

أولا: المقال القصصي- **מסה סיפור**

ثانيا: المقال الروائي- **מסה רומאן**

ثالثا: القصيدة المقال- **שיר מסאי**

رابعا: مقال رؤوس الأقلام- **מסה סקיצה**

خامسا: المقال الفكري- **מסה כמאמר עיוני**

الفصل الثاني، ويحمل عنوان: "السمات الفنية للمقال العبري في أدب شولاميت هرإيفين". ويتناول السمات الفنية المميزة للمقال العبري الذي كتبته شولاميت هرإيفين، مع إلقاء الضوء على السمات الفنية التي تميز المقال، وكيف استفادت منها الأديبة في مقالاتها، وتحديد السمات التي تميز مقالاتها على نحو خاص. وقد رصدت الدراسة السمات الفنية للمقال عند الكاتبة على النحو التالي:

أولا: أنواع العنوان في مقالات شولاميت هرإيفين- **סוגי הכותרות במסות ובמאמרים של ש. הראבן**

ثانيا: الثنائيات المتضادة- **אנטי-תזה**

ثالثا: مخاطبة القارئ والاستفهام البلاغي- **הפניות לקורא ושאלות רטוריות**

رابعا: علامات الترقيم الخاصة- **סימני פיסוק מיוחדים**

خامسا: شخصية الأنا المتكلم- **דמות "האני הדובר"**

سادسا: الاقتباس من المصادر- **ציטוט מהמקורות**

سابعا: الاستعارة والتشبيه- **המטפורה והדימוי**

ثامنا: سمات أسلوبية في لغة هرإيفين– **סוגליים סגנוניים בלשונה של ש. הראבן**

الباب الثالث ويحمل عنوان: "المضمون الفكري للمقال عند شولاميت هرإيفين في ضوء توجهات حركة السلام الآن". وينقسم إلى تمهيد، وثلاثة فصول:

التمهيد، ويحمل عنوان: "شولاميت هرإيفين المتحدث الرسمي باسم حركة السلام الآن".

الفصل الأول ويحمل عنوان: "حركة السلام: التباسات النشأة والتوجهات الفكرية"

الفصل الثاني ويحمل عنوان: "قضايا الصراع العربي الإسرائيلي ومفاهيم السلام في مقالات شولاميت هرإيفين" ويتناول هذا الفصل قضايا الصراع العربي الإسرائيلي ومفاهيم السلام في مقالات الكاتبة من خلال ثلاثة مباحث رئيسة هي :

المبحث الأول

الخلاف الأيديولوجي بين اليمين واليسار في إسرائيل

المبحث الثاني

الموقف من القضية الفلسطينية إبان انتفاضة ١٩٨٧

المبحث الثالث

قضايا التطرف من كلا الجانبين العربي والإسرائيلي

الفصل الثالث، ويحمل عنوان: "قضايا الداخل الإسرائيلي في مقالات شولاميت هرإيفين". وينقسم إلى ثلاثة مباحث هي:

المبحث الأول

نقد رؤى القوى الدينية المتطرفة في إسرائيل

المبحث الثاني

الدفاع عن إسرائيل والديانة اليهودية

المبحث الثالث

دور الديمقراطية وسيادة القانون في صهر مجتمع الهجرة

وقد ذيلت البحث بخاتمة تشتمل على أهم نتائج البحث وملخص بالعربية، وملخص بالإنجليزية، وقائمة بالمراجع العربية والعبرية والإنجليزية.

إن تعريف الأنواع الفنية والأنشطة الإبداعية ليس أمراً هامشياً محدود الفائدة، وإنما هو أمر مهم وضروري. لقد ترجم البشر أفكارهم وانفعالاتهم في أشكال تعبيرية مختلفة، وقوالب متنوعة خلال مسيرة تطورهم. وحتى لا يتوه الدرس العلمي في مجالات الإبداع، استقر الرأي علي ألا يعتبر الشكل الفني الجديد نوعاً فنياً رسمياً، تعترف به الأكاديميات العلمية، إلا بعد أن ينجح المهتمون به، والقائمون عليه في وضع تعريف له وتحديد يفرده عن غيره، وفي صياغة أسس له وقواعد تضبط مسيرته، وفي اكتشاف منهج مناسب لدراسته.

وتعريف الشكل التعبيري أو النوع الفني، هو البداية لتحديد الأسس والقواعد ومنهج الدراسة، أي أن التعريف هو بداية الطريق لتكريس الاعتراف العلمي بالأنواع الفنية الجديدة.

وقد عُرف المقال عشرات التعريفات، لأن كل منها مهتم بتعريفه أو رصده من زاوية خاصة مختلفة، أو رصده من عدة زوايا متغيرة، ناظراً إلي مجال أو عدة مجالات من مجالاته، متأثراً بسمات مرحلته الزمنية. ونظرا لكثرة هذه التعريفات، التي يغطي كل منها جانباً من جوانب المقال أو أكثر، فإننا لا نستطيع أن نقف عند أحدها باعتباره التعريف الوحيد الجامع المانع، وإنما سنستعين بأكثر من تعريف، مادمنا نسلم بأن هذه التعريفات لا تغطي أنواع المقال المتعددة، وميادينه الرحبة العريضة جميعاً، مما يجعل أي تعريف منفرد تعريفاً ناقصاً، علي نحو ما.

أولاً: التعريف اللغوي لكلمتي "מסה"-"מאמר":

لا يوجد خلاف تقريبا حول المعني الاشتقاقي لكلمة "مقال" في اللغة الإنجليزية. فاللفظ الإنجليزي الذي يفيد معني "المقال" هو "**Essay**"، والمؤلف الذي يشتهر بكتابة المقالات هو "**Essayist**". ويكاد الباحثون الذين تناولوا فن المقال، يجمعون على أن مبتكر الكلمة، هو الكاتب الفرنسي " ميشيل دي مونتين"[1] (**Michel De montaigne**)، الذي أطلق علي إنتاجه الأدبي اسم "**Essais**"، أي "المحاولات"، إحساساً منه بأنه أمام لون جديد من فن الكتابة، اتجه فيه اتجاهاً فنياً جديداً علي سبيل "المحاولة"، أو "التجربة"، أي أن الصورة الأولي التي رسمها مونتين وسماها "محاولات"، كانت عبارة عن محاولات المؤلف لتسجيل آرائه، وانفعالاته، ومواقفه، فأنتجت هذه "المحاولات" ما عرف باسم "المقال". وسرعان ما انتقلت هذه الكلمة إلي اللغة الإنجليزية، وشاع استعمالها لتشير إلي هذا الفن من فنون الكتابة، الذي نبغ فيه أشخاص أصبح يطلق عليهم اسم "المقاليون" أو "كتاب المقالات". وقد طبع هؤلاء فنهم في الكتابة بالتركيز والإيجاز، وبرز من بينهم في

---

[1] ميشيل دي مونتين(١٥٣٣– ١٥٩٢): ولد لأب من كبار رجال الأعمال في "بوردو"، وقد وفر هذا الأب لابنه كل الوسائل اللازمة لتعليمه وتثقيفه.فنشأ مهموما بالحياة العامة، ولديه ما يضيفه للحركة الفكرية في المجتمع. ويستدل على ذلك من الموضوعات التي دارت حولها مقالات هذا الكاتب.فقد توالت مقالات أو "محاولات" مونتين، وزاد عددها حتى وصلت إلى ٩٤ مقالا، جمعها، ونشرها في كتاب من جزأين، في "بوردو".(דה מונטן, מישל:מסות מישל דה מונטן 1532- 1592, מבחר תרגום ומבוא מאת ישורון קשת, ירושלים ותל אביב, הוצאת שוקן, תשכ"ג, עמ' 11- 12).

انجلترا، رائد فن المقال الإنجليزي "فرانسيس بيكون"[١] **(Francis Bacon)** الذي أطلق علي كتابه اسم **"Essays"** المقالات، وهو يدرك أن "الكلمة حديثة، ولكن الشيء قديم"[٢].

وكلمة **"Essay"** مشتقة من الفعل "**Essayer**"، ومعناه يقيس أو يزن أو يختبر أو يجرب، ومشتقة أيضاً من الاسم "**Assay"** ومعناه اختبار المعادن مثل الذهب أو الفضة لمعرفة جوهرها أو حقيقتها. ويلاحظ الدكتور "إبراهيم إمام" أن: "كلمة "**Essay"** الإنجليزية ومرادفتها الفرنسية **"Essai"**، تتفقان إلي حد كبير مع المعني اللفظي لكلمة "مقال" العربية. فهذا اللفظ باشتقاقه من الأصل "قال"، والقول بمعني الرأي أو الاتجاه، حتى لتتقارب المعاني اللفظية للكلمات الإنجليزية والفرنسية والعربية"[٣].

وتعرف الإنجليزية لفظة أخرى، تشير لمعنى المقال، ولكنه المقال الصحفي: "الذي ينشر في صحيفة أو مجلة، وهي **article"**[٤]. وذلك للتفريق بينه، وبين "**Essay"** المقال ذو الطابع الأدبي، سواء نشر في صحيفة، أو أية وسيلة نشر أخرى.

أما "مقال"، و"مقالة" في اللغة العربية فهما مشتقتان من مادة "ق.و.ل" (قال، يقول، قيل، قولة، مقالة، مقالاً...)، ففي "مختار الصحاح" يرد في مادة (ق. و. ل) أربعة مصادر للفعل (قال) يقول: "(قَوْلاً) و(قَوْلَةً) و(مَقَالاً) و(مَقَالَةً)"[٥].

ونلاحظ هنا أن "مختار الصحاح" لم يخرج بكلمتي "مقال" و"مقالة" عن معنى القول الشفوي. وكذلك الحال في لسان العرب لابن منظور الصادر (٦٣٠- ٧١١ ميلادية)، الذي أورد خمسة مصادر من الفعل الأجوف بالواو(قال):

"يقال ما أحسن قيلك، وقولك، ومقالتك، ومقالك، وقالك، خمسة أوجه"[٦].

وفي إطار تحقيقه للمعني اللغوي لكلمة "مقال" في اللغة العربية، واستقصائه لحالات ظهور هذا اللفظ في القرآن والسنة يقول الدكتور عبد العزيز شرف: "ولا نقع في القرآن الكريم، ولا في الحديث الشريف، ولا فيما ألقت لنا هذه الفترة المبكرة الأولى على غير الاستعمال الشفوي للفظ "مقال"[٧].

فنجد في الشعر العربي في تلك الفترة، أن كلمتي "مقال" و"مقالة" لم تخرجا عن معني القول أيضا، ومن ذلك قول كعب بن زهير:

"مقالة السوء إلي أهلها ...

---

[١] فرانسيس بيكون (١٥٦١- ١٦٢٦): كاتب، ورجل قانون إنجليزي، تأثر بمقالات، أو "محاولات" ميشيل دي مونتين. وقد أخذ على عاتقه تطوير هذا القالب الفني الجديد على صعيد الأسلوب والشكل والمضمون.وعكف أكثر من مرة على إعادة كتابة مقالاته، وأعمل فيها قلمه منقحا، ومنسقا، ومضيفا حتى وصلت إلى مستوى فني راق. (راجع: العقاد، محمود عباس: فرانسيس بيكون: مجرب العلم والحياة، دار المعارف، القاهرة، ١٩٨٥، ص ٨٢- ٨٦).

[٢] شرف، عبد العزيز، (د): أدب المقالة، سلسة أدبيات، الشركة المصرية العالمية للنشر- لونجمان، القاهرة، ١٩٩٩، ص ٨-٩.

[٣] إمام، إبراهيم، (د): دراسات في الفن الصحفي، الأنجلو المصرية، القاهرة، ١٩٧٢، ص ١٨٠.

[٤] Oxford, Word Power, Oxford university press, ninth impression, 2003,37.

[٥] الرازي، محمد بن أبي بكر: مختار الصحاح، عنى بترتيبه، محمود خاطر بك، ط ٥، وزارة المعارف المصرية، القاهرة، ص ٥٥٦.

[٦] ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين: لسان العرب، دار بيروت للطباعة والنشر، بيروت، ١٩٥٦، ص ٥٧٢، ٥٧٣.

[٧] شرف، عبد العزيز،(د): فن المقال الصحفي، سلسلة كتابك، العدد ١٣٥، دار المعارف القاهرة، ١٩٨١، ص ٥٣.

أسرع من منحدر سائل

ومن دعا الناس إلي ذمه ...

ذموه بالحق وبالباطل"[١].

ونجد أن "الحُطَيئة" قد أشار في قوله إلي عمر بن الخطاب، إلي أن "لكل مقامٍ "مقالاً"، فقال:

تَحنَنْ عليَ هَداكَ الْمَليكُ ...

فإنَ لكلِ مقامٍ مَقالاً[٢].

فالمقال إذاً في جوهر الاستعمال العربي القديم هو:"كلام شفوي مرتبط بالنطق، فإذا قال العربي: "هذه مقالة صدق"، فإنما يريد ما نريده اليوم من قولنا: "هذا قول صادق أو حق". وإذا ذكرنا المقال بعد ذلك في العصور التي ازدهرت فيها الثقافة العربية، نجد أن ثمة تطورا لحق بمدلول اللفظ. فقد كان الكتاب العرب فيما مضى، يؤلفون قطعا من النثر الأدبي، في صور متنوعة، وبحوثا في مسائل مختلفة ويسمونها "مقالات" و"كان لفظ المقال يستخدم بمعنى بحث في مسألة أو مذهب من المذاهب الدينية. أو يقسم الكتاب إلى "مقالات" كل واحدة منها تعالج بحثا دينيا أو فلسفيا أو علميا"[٣]. ثم حدث تطور جديد لمدلول المصطلح في العصر الحديث. ويمكننا أن ندرك حجم الفروق التي طرأت على استعمال هذا اللفظ بين القديم والجديد، في هذه العصور التي نحياها أو أطرافا منها، إذ نجد في الطبعات الحديثة للمعجم "الوسيط" الصادر عن مجمع اللغة العربية بالقاهرة، أن المقال هو: "كلمة محدثة، تعني بحثاً، أو إنشاءً في العلم، أو الأدب، أو السياسة، أو الاجتماع، ينشر في صحيفة أو مجلة"[٤].

وعلى ذلك فإن العبرة في مثل هذه الحال ليست بالمعني اللفظي، بل بالمعني الاصطلاحي. وهذا ما يؤكد عليه الدكتور "عز الدين إسماعيل" في كتابه "الأدب وفنونه حين يقول: "كلمة المقال ليست غريبة على اللغة العربية، ولكنها من حيث دلالتها الفنية تعد محدثة في أدبنا العربي. والحق أن تاريخ المقال عندنا يرتبط بتاريخ الصحافة، وهو تاريخ لا يرجع بنا إلى الوراء أكثر من قرن ونصف قرن بكثير. وبذلك يكون المقال قد دخل حياتنا الأدبية بعد أن أخذ في الآداب الأوربية وضعه الحديث"[٥].

وخلاصة القول أن كلمة "مقال" ليس لها أصل في العربية القديمة إلا الاشتقاق من مادة (ق.و.ل)، ولذلك فهي ليست غريبة علي العربية، ولكنها من حيث دلالتها الفنية تعد محدثة في الأدب العربي شأنها شأن فنون أدبية أخرى كالرواية والقصة القصيرة والمسرحية.

---

[١] محمد، محمد عوض، (د): فن المقالة الأدبية، معهد الدراسات العربية العالمية، القاهرة، ١٩٥٥، ص ٦.

[٢] ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين: لسان العرب، ص ٥٧٤.

[٣] محمد، محمد عوض، (د): فن المقالة الأدبية، ص ٧.

[٤] المعجم الوسيط: مجمع اللغة العربية، الطبعة الثانية، القاهرة، د ت، ص ٧٦٧.

[٥] إسماعيل، عز الدين، (د): الأدب وفنونه، دار النشر المصرية، القاهرة، ١٩٥٥، ص ٢٤٨.

ويبقى أن المعاجم العربية، ومن ثم الأدبيات العربية، لا تفرق في المعنى أو الاستخدام بين صيغتي المذكر: (مقال) والمؤنث (مقالة). فكلاهما: "مصدر ميمي مقيس مطرد"[١]، من الفعل الأجوف بالواو (قال). وبنفس معنى القول الشفوي، في المعاجم القديمة، وبمعنى بحث قصير في العلم أو الأدب في المعاجم الحديثة[٢].

وتزيد المعضلة عند النقل من اللغات الأخرى، ومنها الإنجليزية، حيث إن اللغة العربية لا تفرق بين لفظ مثل: "**article**" ويدل على المقال الصحفي، ولفظ مثل: "**Essay**" ويشير إلى المقال ذي الطابع الأدبي دون الصحفي. وهي مشكلة لم تعرفها اللغة العبرية التي أوجدت لفظين مستقلين، يشير كل واحد منهما لمعنى دون الآخر.

وتعبر الأدبيات العبرية عن اللفظين الإنجليزيين "**article**" و"**Essay**"، ، بلفظين بينهما اختلاف واضح، علي صعيد الاشتقاق اللغوي، وكذلك الدلالة التي يؤديها كل منهما: "**מַאֲמָר**"- "**מַסָּה**". واللفظ الأول، مشتق من الفعل الثلاثي معتل الفاء (**אמר**): قال، نطق، فاه، تفوه، تكلم، ذكر، أبلغ (**אֹמֶר; אִמְרָה; מַאֲמָר**). وهذه الاشتقاقات العبرية علي هذا النحو تتوافق تماماً مع اللفظ العربي (مقال).

فطبقا لما أورده المعجم المفهرس لألفاظ العهد القديم، نجد أن كلمة (**מאמר**) استعملت في العهد القديم بمعنى (أمر أو وصية). وذلك تحديدا كما جاء في: " (**מאמר אסתר**) "أمر إستير"، و(**מאמר מרדכי**) "قول مردخاي"، و(**מאמר המלך**) "قول الملك". (**לא עשתה את-מאמר המלך**) "لأنها لم تعمل كقول الملك" إستير ١- ١٥، (**ואת מאמר מרדכי אסתר עשה**) "وكانت إستير تعمل حسب قول مردخاي" إستير ٢- ٢٠، (**ומאמר אסתר קיים דברי הפרים**) "وأمر إستير أوجب أمور الفوريم" إستير ٩/ ٣٢"[٣].

ويبدو جليا أن المعنى الدلالي للكلمة اتسع نطاقه فيما بعد، ويوضح ذلك أفراهام ابن شوشان في معجمه حيث يقول:"لقد استعملت الكلمة من قبل في العهد القديم بمعني: أمر أو وصية (**מאמר אסתר**). وفي عصر التلمود اكتسبت معني: "مقولة" أو "حديث"، وفي العصر الوسيط أضحت تعني بحثا أو "مقالاً" في موضوعات الأدب أو السياسة أو الاجتماع ... إلخ. ويقال (**מאמר ראשי**) مقال افتتاحي، وهو مقال يكتبه رئيس تحرير الجريدة، أو أحد محرريها، ويدور حول شئون الساعة، ويعبر فيه عن الموقف الرسمي للجريدة في موضوع معين"[٤].

وبناء على ذلك فإن اللفظ (**מאמר**) الدال اليوم على معنى "المقال" في اللغة العبرية كان موجودا في العبرية ومستخدما في نصوص العهد القديم، وبخاصة سفر إستير أحد أسفار المكتوبات لكن بمعنى "الأمر أو

---

[١] راجع: أمين، عبد الله: الاشتقاق، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط٢، ٢٠٠٠، ص ٢٢٠- ٢٢١.

[٢] آثر الباحث استخدام صيغة المذكر (مقال) على مدار البحث، مع تخصيص المصطلح بوصف أو إضافة نظرا لعدم وجود المقابل العربي المكافئ، فيقال مقال فكري، مقال روائي، مقال قصصي، قصيدة مقال...إلخ

[٣] עיין: אבן שושן, אברהם: קונקורדנציה חדשה: תורה נביאים וכתובים, מהדורה שלישית, הוצאת קרית ספר בע"מ, ירושלים, 1981, עמ' 616.

[٤] עיין: אבן שושן; אברהם: המילון העברי המרוכז; הוצאת קרית ספר; ירושלים; תשמ"ח; עמ' 332.

الوصية" أولا، ثم "القول أو المقولة بعد ذلك، غير أن هذه الدلالة تطورت مع تطور اللغة العبرية حتى أصبحت الكلمة تطلق اليوم على المقال الصحفي الذي يكتب في شتى الموضوعات.

ويضرب ابن شوشان، في شرحه لكلمة **מַאֲמָר** مثالا يزيل أي غموض، ويحدد المجال الدلالي للكلمة بوضوح:

"הכתב מפרסם מפעם לפעם מאמרים בעתון.
ينشر المراسل، من آن لآخر، مقالات في الصحيفة"[١].

أما اللفظ الثاني وهو "**מַסָּה**" فهو يضاهي تقريباً اللفظين الإنجليزي "**Essay**" والفرنسي "**Essai**"، حيث إنه اسم مشتق من الفعل المضعف معتل اللام "נָסָּה": حاول، جرب، اختبر، فحص، امتحن. (**נָסוּי; נְסִיוֹן; מְנֻסֶּה; הִתְנַסָּה**). ويفيد المعجم المفهرس لألفاظ العهد القديم أن: "اللفظ "**מסה**" بمعنى (**נְסִיוֹן-בְּחִינָה**) "تجربة، اختبار، فحص".

وقد ورد أيضا في العهد القديم في سفر أيوب (٩/ ٢٣) حيث جاء: "וּלְמַסַּת נְקִיִּם יִלְעָג) "يستهزئ بتجربة الأبرياء"، وكذلك ورد في سفر التثنية في ثلاثة مواضع وإن كان بصيغة الجمع: (**הַמַּסֹּת הַגְּדֹלֹת אֲשֶׁר-רָאוּ עֵינֶיךָ**) "التجارب العظيمة التي أبصرتها عيناك" تث: ٧– ١٩، (**הַמַּסֹּת הַגְּדֹלֹת אֲשֶׁר-רָאוּ עֵינֶיךָ**) "التجارب العظيمة التي أبصرتها عيناك" تث: ٢٩– ٢، (**בְּמַסֹּת בְּאֹתֹת וּבְמוֹפְתִים**) "بتجارب وآيات وعجائب" تث: ٤– ٣٤"[٢].

ويرصد "أفراهام ابن شوشان" التطور الدلالي للفظ العبري (**מסה**) حيث يقول: " لقد ورد اللفظ "**מסה**" في العهد القديم بمعني: ١–تجربة، اختبار، فحص. ٢–حزن، يأس. وفي فترة "الهسكالاه"[٣] نال اللفظ معني: مصنف أو مؤلف فكري قصير، غالباً ما يتخذ الطابع الأدبي أو الفلسفي، ويناقش موضوعات اجتماعية أو فكرية وغيرها. ويمتاز المقال بالطابع الذاتي[٤].

الفارق الدلالي بين اللفظين "**מסה**"-"**מאמר**":

---

[١] עיין: אבן שושן; אברהם: המילון החדש; כרך שני; הוצאת קרית ספר בע"מ; ירושלים; 1983; עמ' 615.
[٢] אבן שושן, אברהם: קונקורדנציה חדשה: תורה נביאים וכתובים, עמ' 683.
[٣] **"ההשכלה"**: الهسكالاه كلمة عبرية تعني "التثقيف– التنوير"، وتطلق على الحركة الثقافية الاجتماعية اليهودية التي ظهرت خلال القرن الثامن عشر، وعرفت باسم حركة التنوير اليهودية، وذلك بتأثير عصر التنوير الأوروبي وأفكاره. وهذه الحركة تميز بداية التاريخ الحديث للجماعات اليهودية في أوروبا، وعلى الأخص أوروبا الغربية. وكانت الهسكالاه تسعى إلى تقريب جماهير اليهود من ثقافة الشعوب الأخرى، وإخراجهم بقدر الإمكان من كمونهم وانغلاقهم حتى يصبحوا مواطنين شرفاء في أوطانهم. (راجع: الشامي، رشاد، (د): لمحات من الأدب العبري الحديث مع نماذج مترجمة، مكتبة سعيد رأفت، القاهرة، ١٩٧٩، ص ٤٧– ٥٥).
[٤] עיין: אבן שושן; אברהם: המילון החדש; כרך שני; עמ' 720.